دموع الشوق

وصل الى المدينة المنوّرة رجلٌ ممتطٍ صهوة حصانه، كان أجعد الشعر ومغبّر الثياب. لقد أمضى حياته في الصحراء، فطبعت الشمس أشعتها أثلاماً على وجهه الواسع. كانت حبيبات العرق تلمع على جواده تحت الشمس الساطعة وتنساب من بين أذنيه.

لقد أتى إلى المدينة لرؤية رسول الله ﷺ. اتجه نحو مسجد المدينة، فهو يعلم أنّ منزل النبي ﷺ يقع إلى جانب المسجد. شقّ الأزقة الضيقة حتى وصل إلى المسجد. عقل جواده بجذع نخلةٍ ودخل الى المسجد. تسمّرت عيون أصحاب النبي ﷺ بالرجل. نظر إلى المسجد، كان بسيطاً، جدرانٌ من الطين وسقف من خشب النخلّ، مغطىً بالسعف اليابسة. كان النبي ﷺ يخطب بأصحابه، فجلس الرجل في زاويةٍ من زوايا المسجد. عندما أنهى النبي ﷺ، اقترب الرجل على مهلٍ. شاهد الرجل وجه النبي ﷺ النوراني والجذّاب فشعر بقلبه ينبض بسرعة. ارتسمت بسمةٌ حُلوة على ثغر النبي ﷺ. أراد الرجل أن يفتح فمه ليتكلم ولكن لسانه لم ينطلق. قال متعلثماً وبصوتٍ يرتجف:

«.. يا... يا رسول الله...»

فتح النبي ﷺ ذراعيه وأمسك بساعدي الرجل العريضتين والقويتين، ثم قال: «اهدأ، فأنا لست من المستكبرين..»

ثم قال متبسّماً:

«أنا ابن أمةٍ كانت تحلب الحليب بيدها. إنّي كأخيك».

وتفجّرت دموع الشوق من عيني الرجل وانهمرت على خدّيه، ثم شدّ النبي ﷺ إلى صدره.